كتب الأنساب العربية
(٤)

كتاب « القَصد والأمَم
في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم »
لابن عبد البَرّ النَّمِري (٣٦٨ - ٤٦٣هـ)

الدكتور إحسان النص

المؤلف(*) :

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البَرّ النَّمِري النسب (من النمِر بن قاسط ، إحدى قبائل ربيعة) ، القرطبي الدار ، إمام عصره في الحديث حفظاً وفقهاً وتأليفاً ، مع الاطلاع الواسع على المعارف الأخرى كالأدب والتاريخ والقراءات والأنساب .

ثمة خلاف في سنة ولادته وسنة وفاته ، والجمهور على أنه ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـ وفيها طلب العلم وتفقّه على أيدي طائفة من علمائها ، وممّن أخذ عنهم ولزمهم أبو عمر أحمد بن عبد الملك الفقيه الإشبيلي ، والحافظ أبو الوليد ابن الفَرضي ، وقد أخذ عنه كثيرًا من علمه في الحديث وتراجم الرجال . وروى عن جماعة من العلماء منهم الحافظ أبو القاسم خَلف بن

(●) نشرت الأقسام : الأول والثاني والثالث في مجلة المجمع (مج٦٤ ، ج٤/مج٦٥ ، ج٣/مج٦٦ ، ج٣) .

(*) من مصادر ترجمته : بغية الملتمس للضبيّ ص٤٧٤ ، وقد جعل مولده سنة ٣٦٢هـ ووفاته في سنة ٤٦٠هـ ؛ وفيات الأعيان لابن خلكان ج٧ ص٦٦ ؛ الصلة لابن بشكوال ٦٧٧/٢ ؛ المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ٤٠٧/٢ ؛ الديباج المذهب لابن فرحون ص٣٥٧ ، شذرات الذهب ٣١٤/٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

القاسم[١] ، وعبد الوارث بن سفيان ، وأبو عمر المعروف بابن الباجيّ[٢] ، وسعيد بن نصر[٣] .

حين اضطربت الأمور في قرطبة إبّان الفتنة التي أثارها النزاع بين أمراء بني أمية على الحكم ، والنزاع بين العرب والبربر ، والتي أودت أخيرًا بحكم الأسرة الأموية في الأندلس وقيام دويلات الطوائف سنة ٤٢٢هـ غادر ابن عبد البر قرطبة ـ ولا تعرف على وجه الدقة سنة مغادرته لها ـ وأخذ يتجول في بلاد الأندلس شرقًا وغربًا ، ويتنقل بين مدن دانية وبلنسية وشاطبة وغيرها ، وتولّى أثناء ذلك القضاء بمدينتي الأشبونة وشنترين في أيام الملك المظفّر بن الأفطس (ت ٤٦٠هـ) ، وتوفي أخيرًا بمدينة شاطبة سنة ٤٦٣هـ .

نال أبو عمر مكانة رفيعة في عصره فقصده طُلاّب العلم ورحل إليه الناس فسمعوا منه وأخذوا عنه ، وممّن أخذوا عنه أبو العبّاس الدلائي ، وأبو محمد بن حزم مؤلف كتاب « الجمهرة في النسب » ، والحافظ محمد بن فتّوح الحُميدي مؤلف كتاب « جذوة المقتبس » ، وأبو عليّ الغسّاني . وقد أثنى عليه الكثير من العلماء ، ومنهم القاضي أبو الوليد الباجّي الذي قال فيه : « لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البرّ في الحديث » وقد جعله أحفظ أهل المغرب[٤] ، وقال فيه ابن حزم :

---

(١) ضبط اسمه في ترجمة ابن عبد البر في بغية الملتمس (ص٤٧٤) : أبو القاسم خالد بن القاسم ، والصواب : خلف بن القاسم كما ورد في مصادر أخرى وفي البغية أيضاً في ترجمته (ص٢٧٢ ـ ٢٧٤) وذكر فيها أنه يعرف بابن الدبّاغ

(٢) ضبط في الوفيات (٣٤٨/٢ط بولاق) : أبو عمرو الباجي ، وقد رجّحت ما وجدته في الصلة (١١/١) وبغية الملتمس (الترجمة رقم ٤٢٣) .

(٣) كذا ضبط اسمه في بغية الملتمس (ص٣٠١ وص٤٧٤) وكنيته أبو عثمان ، وفي وفيات الأعيان : سعيد نصر ، والأول أصح . (وفيات ٦٦/٧) .

(٤) الصلة لابن بشكوال ص٦٧٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله »(٥).

صنّف ابن عبد البر الكثير من الكتب في الحديث والرجال والمغازي والنسب والقراءات، ومن كتبه المطبوعة: « الدُرر في اختصار المغازي والسير » و« الاستيعاب في معرفة الأصحاب » وهو في تراجم صحابة الرسول عليه السلام، و« جامع بيان العلم وفضله » و« الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء »، وقد تحدّث فيه عن الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي، و« القَصد والأَمم » و« الإنباه على قبائل الرواة » وكلاهما في الأنساب، وهما موضع حديثي هنا، وكتاب « الإنصاف فيما بين العلماء من اختلاف » و« الكافي في الفقه »، ومن أضخم كتبه كتاب « التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد » في عشرين مجلّدة، ولم يعثر عليه كاملاً، وكتاب « الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار » وقد طبع قسم منه. وفي كتاب « وفيات الأعيان » لابن خَلّكان نقول من بعض كتبه.

الكتاب :

الكتاب صغير الحجم، يقع في زهاء ثلاثين صفحة، فهو أدنى إلى أن يكون رسالة. وموضوع الكتاب وضّحه المؤلف في مقدمته فقال: « أمّا بعد، فإني أذكر في هذا الكتاب بعون الله إن شاء الله، أصول أنساب الأمم من العرب والعجم، وما تداخل من بعضهم في بعض، على تباعد البلدان، ومرّ الدهور والأزمان، إذ لا يُحصي فروعَهم وجماعتهم إلا الله خالقهم الذي هو بكل خلق عليم، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ... »(٦).

ويتّضح من هذا الكلام أن غاية المؤلف في كتابه بيان أصول أنساب الأمم كلها، فالكتاب ليس وقفاً على أنساب العرب، وهو لا يعنى بتفصيل

(٥) المصدر السابق.

(٦) الكتاب، ص٨.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأنساب وإنما يتّجه فقط إلى بيان أصول الأنساب عامة ، ولهذا جاء الكتاب موجزًا إذ لا نجد فيه حديثًا مفصّلاً عن أنساب العرب .

بدأ المؤلف حديثة ببيان تناسل أمم العالم كلها من ذريّة نوح عليه السلام وأبنائه الذين أنسلوا وهم : سام وحام ويافث ، وهو قول جمهور النسّابين ، ثم يقدّم بعض التفصيل عن أبناء نوح ، فيروي عن ابن عبّاس قوله : « ولد نوح سامًا وفي ولده بياض وأُدمة ، وحامًا وفي ولده سواد وبياض قليل ،ويافثَ وفي ولده الشقرة والحمرة »(٧) .

ثم يذكر ما ذهب إليه جمهرة النسّابين من أن العرب هم من نسل سام ، ويروي عن سعيد بن المسيّب قوله : « ولد نوح ثلاثة : سامًا ويافثَ وحامًا ، وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة ، فولدَ ، سام العرب وفارس والروم ، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ، وولد حام القبط والسودان والبربر » . ويشير المؤلف إلى بعض ما اختلف فيه النسابون بشأن تناسل الأمم من أبناء نوح الثلاثة .

وبعد هذا الإجمال ينتقل إلى التفصيل في أصول الأمم ، بادئًا بالعرب وهو يعرض لموضوع كان يشغل بال القوم في ذلك الحين وهو أول من تكلّم بالعربية ، فيذكر مختلف الآراء بهذا الشأن ، هل هو جبريل عليه السلام وقد ألقاها على لسان نوح ، ونوح ألقاها على لسان ابنه سام ، أو أنه آدم ، أو لعلّها قبيلة جرهم التي كان بعض رجالها في سفينة نوح ، أو أنه عمليق بن لاوذ ، إلى غير ذلك من الأقوال . ثم يذكر انقسام العرب إلى عاربة ، وهي القبائل العربية التي بادت وانقرضت كعاد وثمود وطسم وجَديس ، ومستعربة ، وهم بنو إسماعيل الذين أخذوا العربية عن قبيلة جرهم . ويفيض بعد ذلك في أخبار العرب العاربة وينقل مختلف الأقوال المتصلة بأنسابها وتاريخها وأخبارها ، ثم يروي الأخبار المتصلة بولد

(٧) نفسه ، ص٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

إسماعيل ، وهم العرب المستعربة ، ويقرّر أن « العربية الفصيحة التي في ربيعة ومضر ابني نزار بن معدّ بن عدنان هي التي ألهمها الله إسماعيل »[٨] ، وإسماعيل ، في رأي بعضهم ، هو أول من وضع الكتابة العربية ، ويتّجه المؤلف أخيراً إلى تقرير أن آدم أول من تكلم بالألسن كلّها وأوّل من وضع الكتاب لأنه عُلّم اللغات وعُلّم الأسماء كلّها ، ويستشهد بالآية الكريمة : ﴿ وعَلّم آدمَ الأسماءَ كُلَّها ﴾[٩] (البقرة ٣١) .

وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى تعداد أبناء سام وكم عُمّر كلّ منهم ، فأرفخشذ مثلاً عُمّر أربعمئة وخمساً وستين سنة . ثم يتحدّث عن ولد إبراهيم وولد إسماعيل ويعود ثانية إلى موضوع أول من كتب بالعربية وينقل أقوالاً مختلفة بهذا الصدد .

ولمّا فرغ من سام وأولاده انتقل إلى حام وولده ، ويعلّل سواده وسواد أولاده بما ذكره بعضهم من أنّ أباه نوحًا دعا عليه بتشويه ولده وسواده ، وأن يكون أولاده عبيدًا لأولاد سام . ثم يثبت المؤلف أقوال طائفة من النسّابين المتصلة بأبناء حام ، والخلاف في أولاد حام والأمم المتناسلة منهم ، وهو يجعل من أبناء حام البربر والزنج والحبشة والنوبة والسند وغيرهم ، وجُلّهم من نسل كنعان بن حام ، ووضّح ما وقع من الاختلاف في نسب البربر ، وعنده أن أثبت ما قيل فيهم أنهم من ولد قبط بن حام[١٠] ، ونفى انتماء البربر إلى قبيلة قيس عيلان . أمّا فراعنة مصر فالنسابون يتفقون في أنهم من ولد حام[١١] .

ثم يقف بعد ذلك عند يافث وولده ، ويجعل من ولده اليونانيين ،

(٨) الكتاب ، ص١٦ .

(٩) نفسه ، ص١٨ .

(١٠) نفسه ، ص٢٤ .

(١١) نفسه ، ص٢٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهم الروم الأولى ، والروم الثانية ، والفرس ، والأكراد ، والبرجان ، والديلم ، والترك ، والصقالبة ، والصُغد ، والصين . ويذكر مختلف الأقوال في أصولهم النَّسَبيَّة ، وكذلك يجعل من ولد يافث يأجوج ومأجوج وهم « أمم لا يقدر أحد على استقصاء ذكرهم لكثرتهم »[١٢] .

هذا ملخص ما جاء في كتاب المؤلف ، ومنه يتضح أنه جمع فيه أقوال النسّابين والأخباريين المتصلة بأصول أنساب الأمم ، وبين هذه الأقوال اختلاف كثير لأنها لا تقوم على أصول علمية ثابتة . وكان المؤلف يدلي أحيانًا برأيه فيرجّح قولاً على قول أو ينفي بعض المرويّات ، على أنه ، بوجه عام ، يتّجه إلى الرواية والنقل أكثر ممّا يتّجه إلى النقد وتمحيص الأخبار .

والنهج الذي سار عليه هو إيراد أقوال أهل النسب والأخبار بأسنادها ، وهي طريقة المحدّثين ، ونحن نعلم أن المؤلّف كان إمامًا في الحديث وروايته .

وقيمة الكتاب هي في كونه يعرض لنا مختلف أقوال الأخباريين والنسّابين في أصول الأنساب .

طبع الكتاب بمطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٣٥٠هـ وعنيت بنشره مكتبة القدسي ، وقد ألحق به كتاب آخر لابن عبد البر في الأنساب هو كتاب « الإنباه على قبائل الرواة » ، وهو موضع حديثي الآن .

---

(١٢) نفسه ، ص٣٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب

الإنباه على قبائل الرواة
لابن عبد البر

الكتاب :

لم يقصد ابن عبد البر من تأليف هذا الكتاب بيان أنساب العرب عامة وإنما كان قصده بيان أنساب القبائل العربية التي روت عن رسول الله عليه السلام ، وقد جعله مدخلاً لكتابه « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » وقد وضّح غايته هذه في مقدمة كتابه فقال : « أمّا بعدُ ، فإني ذكرت في كتابي هذا أمهات القبائل التي روت عن رسول الله ﷺ ، وقرّبت ذلك واختصرته وبيّنته وجعلته دليلاً على أصول الأنساب ومدخلاً إلى كتابي في الصحابة ، ليكون عوناً للناظرين فيه ، ومنبّهًا على ما يُحتاج إليه من معرفة الأنساب »(١٣) .

وقد بدأ كتابه بالحديث عن علم النسب ووجوب العناية به ، فعلم النسب « علم لا يليق جهلُه بذوي الهمم والآداب ، لما فيه من صلة الأرحام والوقوف على ما ندب إليه النبي ﷺ بقوله : تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم .. »(١٤) ثم بيّن فوائد علم النسب ورد على القائلين بأنه علم لا ينفع وجهالة لا تضرّ ، ودعم كلامه بالآية الكريمة : ﴿ وجعلناكُم شُعوبًا وقبائلَ لتعارفوا ﴾ وبطائفة من الأحاديث النبوية وأقوال الخلفاء الراشدين .

ثم ذكر ابن عبد البر أن كتابه هذا مأخوذ من أمهات كتب النسب ومنها : كتاب ابن إسحاق ، وكتاب الجمهرة لابن الكلبي ، وكتاب

---

(١٣) الإنباه ، ص٤٢ .

(١٤) الإنباه ص٤٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أبي عبيدة معمر بن المُثَنّى ، وكتاب محمد بن عبدة بن سليمان ، وكتاب محمد بن حبيب ، وكتاب أحمد بن محمد العدوي في نسب قريش ، وكتاب الزبير بن بكّار في نسب قريش ، وكتاب عمه مصعب بن عبد الله الزبيري في نسب قريش أيضًا ، وكتاب علي بن كيسان الكوفي في أنساب العرب قاطبة ، وكتاب علي بن عبد العزيز الجرجاني ، وكتاب عبد الملك بن حبيب الأندلسي ... »[١٥] .

ويتّضح مما تقدّم أنه كان في زمن المؤلف ، في القرن الخامس الهجري ، مؤلفات كثيرة في الأنساب ، بعضها في أنساب العرب عامة ، وبعضها الآخر في نسب قريش خاصة ، ولم يصلنا من هذه المؤلفات إلا القليل ، وهي التي ألفها ابن الكلبي والزبير بن بكّار ومصعب الزبيري ، وسائرها في حكم المفقود . على أننا نجد لدى مطالعة الكتاب أنّ جلّ اعتماد المؤلف كان على كتاب محمد بن عبدة .

يعقد المؤلف أولاً فصلاً لعدنان ، فيذكر إجماع النسّابين على أنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وإنما وقع الاختلاف في عدد الآباء بينهما ، ثم أورد أحاديث نبوية وأقوالاً تذهب كلها إلى أن أحدًا لا يعرف ما وراء معدّ بن عدنان من آباء .

وبدأ بعد ذلك يفصّل القول في الأنساب ، فيذكر نسب عدنان حتى ينتهي به إلى إدريس النبي ، ويقول إن هذا النسب هو الذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان[١٦] . وبهذا يناقض ما ذكره قبلُ من أن أحدًا لا يعرف ما وراء معدّ بن عدنان من آباء .

وبهذه المناسبة يثبت قصيدة أبي العباس عبد الله بن محمد الناشئ (المتوفى سنة ٢٩٣هـ) والتي مدح بها الرسول عليه السلام وأثبت فيها

(١٥) الإنباه ، ص٤٦ .

(١٦) الإنباه ، ص٤٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

نسبه إلى عدنان .

وانتقل بعد ذلك إلى قحطان فذكر ما وقع من الخلف بين العلماء في نسبه ، فطائفة نسبته إلى إرم بن سام ، وطائفة نسبته إلى عابر بن شالخ ، وطائفة ثالثة نسبته إلى إسماعيل بن إبراهيم . ويذكر أن من قالوا بانتسابه إلى إسماعيل قد أيّدوا رأيهم بقوله عليه السلام لقوم من أسلم والأنصار : « ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا » ، ولكن ابن عبد البر يميل إلى الآخذ بقول ابن عباس : « العرب العاربة قحطان بن الهَميسع .. » وذلك لأن ابن عبد البر وجد إسناده حسنًا . « وهو أعلى ما روي في هذا الباب وأولى بالصواب »(١٧) . فكذلك نرى أنه ينهج نهج علماء الحديث في ترجيحه الأقوال التي يجد سندها قويًا ، ويوازن بين الأقوال بمعيار أسنادها .

وينهي المؤلف حديثه عن عدنان وقحطان بقوله : « لا خلاف بين أهل العلم بالنسب أن العرب كلها يجمعها جِذمان ، والجذم الأصل ، فأحدهما عدنان والآخر قحطان ، فإلى هذين الجذمين ينتهي كل عربي في الأرض ، ولا يخلو أحدٌ من العرب أن ينتمي إلى أحدهما »(١٨) .

وبعد أن فرغ من حديثه عن جذمي عدنان وقحطان أخذ يفصّل القول في أصول القبائل العدنانية واليمنية ، فوقف أولاً عند قضاعة وذكر ما وقع بشأنها من اختلاف بين علماء النسب ، فمنهم من ينسبها إلى معدّ بن عدنان . وهم جمهرة النسّابين ، وقد أورد حديثًا نبويًا يؤيد هذا النسب وأبياتًا لزهير بن أبي سلمى وغيره تؤيد انتماء قضاعة إلى معدّ ، وطائفة أخرى تنسبها إلى اليمن ، فهي عندهم قضاعة بن مالك بن حمير . وهنا أيضًا ترد أحاديث نبوية تدعم قول هؤلاء النسّابين – ونحن نلاحظ أن افتعال الأحاديث النبوية لدعم هذا الرأي أو ذاك كان مألوفًا

(١٧ و١٨) الإنباه ، ص٥٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عصرئذ ، كما نعلم أن القول الثاني هو الذي استقرّ عليه النّسابون آخر الأمر ، فقضاعة عندهم حميرية قحطانية – وهنا أيضاً يسوق المؤلف أشعارًا تؤيد انتماء قضاعة إلى اليمن .

ويقف المؤلف بعد ذلك وقفات قصيرة عند كل من نزار ومضر وخندف ، ليقف وقفة أطول عند قريش ، فيذكر فضلها على سائر القبائل ، ومختلف الأقوال في سبب تسميتها بقريش ، ثم يعدّد البطون والأفخاذ التي تنتمي إليها والرجال المشهورين في كل بطن وفخذ ، ويعنى خاصة بذكر رواة الحديث منهم .

ثم ينتقل من قريش إلى كنانة وهُذيل والقارة وأسد فيوجز الحديث عن هذه القبائل إيجازًا شديدًا ، ثم يقف وقفة أطول عند قبيلة تميم والرواة المشهورين فيها ، وهكذا يتابع حديثه عن قبائل خندف بنت مضر فيتحدث في إيجاز شديد عن قبائل مُزينة والرِباب وضبّة .

وحين فرغ من خندف انتقل إلى الفرع الثاني من مضر وهو قيس عيلان ، فذكر ما وقع بشأنها من خلاف بين النّسابين ثم عدد قبائلها وبطونها وأفخاذها والرواة المشهورين في كل منها .

وبعد قيس عيلان يعقد المؤلف فصلاً قصيرًا لخزاعة وما دار من خلاف في نسبها بين النّسابين ، إذ ينسبها بعضهم إلى قمعة بن خندف بن مضر ، وينسبها آخرون إلى قبيلة الأزد القحطانية ، وهو يورد حجج الفريقين التي تؤيد قولهما ، على أنه لا يرجح قول أحد الفريقين على الآخر ، وينتقل أخيرًا إلى تعداد بطون خزاعة ورواة الحديث المشهورين في كل منها .

وبعد أن فرغ من مضر انتقل إلى الحديث عن ربيعة وقبائلها والرواة المشهورين فيها ، على أنه لا يطيل في الحديث عن ربيعة ، وسرعان ما ينتقل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

إلى الكلام عن طائفة من القبائل وقع الخلاف بشأنها بين النسّابين أهي عدنانية أم قحطانية وهي : بَجيلة وخَثعم وعاملة ولخم وجُذام ، ويقرّر أكثر أهل النسب على أنها قحطانية .

وأخيرًا يقف المؤلف عند القبائل القحطانية التي لا خلاف في نسبها بادئًا بالأزد ، ذاكرًا في كل قبيلة المشهورين من رواة الحديث فيها .

وقد اتبع ابن عبد البر في كتابه هذا النهج الذي اتبعه في كتابه الأول من حيث الإيجاز وإيراد السند في كل خبر – على طريقة المحدّثين – مع بيان الكتب التي استعان بها مثل كتاب محمد بن عبدة وكتاب عبد الملك بن حبيب الأندلسي وكتاب الجمهرة في النسب لابن الكلبي وغيرها . فإذا عنّ له رأي نسبه إلى نفسه فقال : قال أبو عمر . وقد أورد ابن عبد البر الأشعار التي أيّد بها النسّابون أقوالهم ، ولكن في غير إكثار .

وهذا الكتاب أوسع من سابقه فهو يستغرق ما يزيد على سبعين صفحة وهو مع ذلك شديد الإيجاز بالقياس إلى كتب الأنساب الأخرى . وقيمة الكتاب هي في تعداد أسماء رواة الحديث في كل قبيلة من قبائل العرب .

* * *

كتاب
طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب

للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول

(... – ٦٩٦هـ)

المؤلف(*) :

هو عمر بن يوسف بن رسول الغسّاني ، ثالث ملوك آل رسول

(*) من مصادر ترجمته : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لعلي بن الحسن الخزرجي ؛ =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

باليمن . ويذكر المؤلف في ترجمته لأسرته أن آل رسول يرجعون بنسبهم إلى الملك الغسّاني جبلة بن الأيهم ، فهم إذًا من سلالة آل جفنة ملوك الشام ، وقد فصّل المؤلف نسبهم في الكتاب[19] .

واسم « رسول » الذي عرفت به أسرة المؤلف أطلق – فيما يذكرون – على أحد أجداد المؤلف واسمه محمد بن هارون بن الفتح ، وكان مُقَرّبًا من أحد خلفاء بني العباس ، فجعله رسولاً له إلى الشام ومصر ، ومن هنا أصبح يعرف برسول حتى جُهل اسمه الحقيقي ، ونسبت أسرته بعد ذلك إليه . وربما أطلق على الأُسرة لقب « التركماني » ، ويعلّل الخزرجي في العقود اللؤلئية هذا اللقب بإقامة أسرة جدّهم الأول جبلة بن الأيهم في بلاد التركمان بعد جلائهم عن بلاد العرب ، فنزلوا أولاً بلاد الروم مع جبلة ثم ارتحلوا إلى بلاد التركمان وتكلموا بلغتهم وانقطعت صلتهم بالعرب فنسبهم بعض من لا يعرفهم إلى التركمان ، وقد عادت الأُسرة بعد حقبة من الزمن إلى بلاد العرب .

ولا تتضح أخبار أسرة رسول إلاّ منذ أيام الأيوبيين ، فالمصادر التاريخية تذكر أن صلاح الدين لمّا أرسل أخاه شمس الدولة توران شاه إلى اليمن لقتال حكامها من الفاطميين أرسل معه نور الدين عمر بن علي بن رسول ، فسار معه إلى اليمن سنة ٥٦٩هـ وكان مع عمر عدد من آل رسول[20] .

وبعد مغادرة توران شاه بلاد اليمن ظلّ عمر بن علي ومن معه من آل رسول مقيمين فيها . وفي سنة ٦١١هـ يغدو « آقسيس » ابن الملك الكامل الأيوبي ملكًا على اليمن ويلقب بالملك المسعود ، وكان ملكًا جبّارًا قتل المئات

= ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٢٣/٢٦ ؛ ومقدمة طرفة الأصحاب للأستاذ صلاح الدين المنجد ؛ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، الجزء الخامس وما بعده .

(١٩) انظر كتاب طرفة الأصحاب ص٨٩ – ٩٢ .

(٢٠) النجوم الزاهرة ٧١/٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من أشراف أهل اليمن . وقد قرّب عمر بن علي وولاّه الحصون ثم ولاّه مكة . ولما توجه إلى مصر استنابه على اليمن واستناب أخاه بدر الدين على صنعاء ، فقويت في زمنه شوكة آل رسول وعظم أمرهم ، وقد تخوّف آقسيس تعاظم سلطان آل رسول فأمر بسجن نور الدين وإخوته ثم أمر بنفيهم عن اليمن ولكنه استبقى نور الدين في خدمته وجعله أتابك عسكره .

ولّما توفي الملك المعظّم عيسى بدمشق سنة ٦٢٥هـ توجّه آقسيس إلى دمشق لأخذها واستناب نور الدين عمر مكانه على بلاد اليمن وجعله خليفته في ملك اليمن إن هو توفي . ولما بلغ الملك المسعود مكة سنة ٦٢٦هـ توفي مسمومًا ، فسنحت الفرصة لنور الدين عمر فتولّى ملك اليمن وقاتل الخارجين عليه من أمرائها ، فكان أول من ملك اليمن من آل رسول ولُقب بالملك المنصور .

وفي سنة ٦٤٧هـ قُتل الملك المنصور بيد مماليكه فقام بالأمر بعده ولده الملك المظفّر شمس الدين يوسف بن عمر ، وقد اشتهر هذا الملك بالحزم والدهاء والحنكة السياسية ، وكان أول من كسا الكعبة داخلها وخارجها سنة ٦٥٩هـ ، وقد دام ملكه ستة وأربعين عاماً . وكان معنيًّا بعلوم الطب ، وله كتاب « الأدوية المفردة » وهو مطبوع .

كان الملك المظفّر معجبًا ببكره عمر لشغفه بالعلم وشجاعته فندبه للقيام بمهمات تأديبية ثم نزل له عن الملك سنة ٦٩٤هـ بمحضر من النبلاء والأشراف وجاء في التقليد الملكي ما نصه : « أمّا بعدُ ، فقد ملّكنا عليكم من لا نؤثر فيه – والله – داعي التقريب على باعث التجريب ، ولا عاجل التخصيص على آجل التمحيص ، وهو سليلنا الخَطير ، وشهابنا المنير ، وبصيرنا الذي نرجو به صلاح البلاد والعباد ... »[٢١] ولم يلبث الملك المظفر أن توفي في العام نفسه .

---

(٢١) العقود اللؤلؤية ١/٢٨٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد تولى الملك الأشرف عمر ملك اليمن في عهد ولاية الملك العادل زين الدين كَتْبُغا على مصر . وكان الأشرف محمود السيرة ، محبوبًا من الرعية ، مهيب الجانب ، ولم تطل مدة ملكه فقد توفي في المحرّم من سنة ست وتسعين وستمئة بعد أن حكم زهاء سنة ونصف ، وآل الملك بعده إلى أخيه المؤيّد داود .

كان الملك الأشرف كأبيه منصرفًا إلى طلب العلم وكانت له مشاركة في الفقه والحديث والنحو والفلك ، ولكنه انصرف خاصة إلى الطب وعلم النسب . وقد صنّف في مختلف الفنون ، فألّف كتابًا جامعًا في الطب سمّاه « المعتمد في مفردات الطب » وما زال مخطوطًا ، كما ألّف كتابًا في الاسطرلاب ، وقد تحدث عنه الشيخ طاهر الجزائري في مجلة المقتبس (مجلد ٣ عام ١٩٠٩م) ، وكتاب « تحفة الآداب في التواريخ والأنساب » ، وكتاب « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » موضع حديثنا ، ولم يطبع من كتب المؤلف حتى الآن غيره (٢٢) .

الكتاب :

الكتاب في أنساب القبائل عامة ، ولكنه عني بأنساب القحطانية خاصة وبنسب آل رسول أسرته وأوجز القول في أنساب القبائل العدنانية على أنه فصّل القول في أنساب رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه وخلفاء بني أمية وبني العباس ثم في أنساب الأمراء والأشراف من أهل اليمن .

(٢٢) ذكر الأستاذ صلاح الدين المنجد في مقدمة كتاب « طرفة الأصحاب » أن للملك الأشرف كتابًا اسمه « جواهر التيجان » ، وقد ورد ذكره في الطرفة مرتين ، في ص٤٥ وص٤٨ ، ووردت في ص٤٨ عبارة : « قد ذكرنا قصتهم في جواهر التيجان » مما يوهم أن الكتاب للملك الأشرف ، ولكن المؤلف كان ينقل هنا عن نشوان بن سعيد الحميري (انظر ص٤٣ من الكتاب) وهذه العبارة يرجح أنها من كلام نشوان الحميري ، والأرجح أن مؤلف جواهر التيجان هو نشوان الحميري وإن لم يذكر من ترجموا له أن له كتابًا بهذا الاسم ، والظاهر أن الكتاب تلخيص لكتاب « التيجان » لابن هشام الحميري .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

فالكتاب لا يحقّق التوازن في ذكر أنساب مختلف القبائل ، يفصّل القول في بعضها ويوجز في بعضها الآخر . ويوضح المؤلف خطته في مقدمة كتابه فيقول : « هذا مختصر في علم الأنساب ، يسهل حفظه على أولي الألباب ، محتوٍ على أصول أنساب العرب ، مقرّب حفظها لأُولي الطلب ، مضافًا إليه نسب النبي المختار ، مشفوعًا بصحابته الأبرار ، نبّهنا على أوصلهم به سببًا ، وأقربهم منه نسبًا ، ثم تلوناه بالخلفاء من بني أمية وبني العبّاس ، ثم من بني رسول ملوك اليمن ، ثم من شُهر بخدمتهم من أكابر الأشراف ، في عصرنا والأعراب ، ممّا اطّلعنا عليه وتلقّيناه من الأصحاب ، مرتَّبين على قدر مناصبهم ، ومميّزين بحق مراتبهم ... »(٢٣) .

ثم بدأ حديثه عن الأنساب بنقل ما وجده في كتاب ابن واضح(٢٤) حول آدم ومن خلفه من أولاده ، وانتقال الأمر من واحد إلى آخر حتى زمن نوح وحديث الطوفان وهلاك البشر كلهم باستثناء أولاده الثلاثة : سام وحام ويافث ، وقسمة البلاد بينهم : « فجعل لسام وسط الأرض والحرم وما حوله واليمن وحضرموت إلى عُمان إلى البحرين إلى عالج ويبرين ووَبار والدهناء ، وجعل لحام أرض المغرب والسواحل ، وجعل ليافث شرق الأرض جميعها . فولدُ حام : كُوش وكنعان والنوبة والزنج والحبشة والقبط ... »(٢٥) . ثم يذكر اختلاف المؤرخين في أولاد كل من أبناء سام . ويتابع بعد ذلك تسلسل الأنساب ، معتمداً على صاحب العقد ، فقد انتقل الأمر من سام إلى أرفخشذ إلى شالخ فعابر . وهنا يبيّن اختلاف النسّابين فيمن انتقل الأمر إليه بعد عابر . وهو يجعل العرب كلهم من ولد سام ، وهما قسمان : ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وهم عدنان ، وولد قحطان بن

(٢٣) طرفة الأصحاب ص١ .

(٢٤) ابن واضح هو أحمد بن إسحاق ... بن واضح اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) ويعرف تاريخه بتاريخ اليعقوبي . طبع بدار الفكر ، بيروت ١٩٥٦ .

(٢٥) طرفة الأصحاب ص٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

هود ، وهم أهل اليمن .

وبدأ بعد ذلك بأنساب القحطانية وقبائلها ، بخلاف ما اتبعته طائفة أخرى من النسّابين آثرت البدء بالأنساب العدنانية رعاية لنسب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ولعل دافعه إلى ذلك كونه قحطاني النسب .

ولم يتبع المؤلف نهج ابن الكلبي في تفريع القبائل من أصولها وتفريع البطون من القبائل ، وإنما وقف عند كل قبيلة من قبائل قحطان وذكر بطونها المشهورة ، وقد بدأ بكهلان فذكر أولاً نسب الأزد وقبائلها الست والعشرين ، والبطون المشهورة في كل قبيلة ، وكل ذلك على وجه الإيجاز . ثم انتقل إلى سائر قبائل كهلان : خثعم وبَجيلة وهَمْدان ومَذْحِج وطيّئ والأشعر ولَخْم وجُذام وكندة ، ووقف وقفة قصيرة عند كل منها .

ولمّا فرغ من كهلان انتقل إلى حمير – الفرع الثاني من قحطان – فذكر قبائلها وبطونها ، وأدخل قضاعة في حمير – وهو ما سار عليه جُلّ النسّابين – فذكر القبائل القضاعية وبطونها .

وبعد هذه الإلمامة السريعة بأنساب قحطان انتقل إلى عدنان فجعل القبائل العدنانية كلها ترجع في نسبها إلى أصلين : معدّ وعكّ . ومن المعروف أن ثمة خلافًا بين النسّابين في نسبة عكّ ، والجمهور على أنها يمانية . وذكر قبائل معدّ الأربع : مضر وربيعة وأنمار وإياد ، ثم عدّد القبائل المتفرعة من كل منها وبطونها ، ولم يحاول أن يوضّح تفرّع القبائل من أصولها وتسلسل أنسابها ، وقد بدأ بمضر فربيعة فإياد .

ولمّا فرغ من معدّ انتقل إلى عكّ فذكر قبائلها وبطونها .

بعد هذا الإجمال انتقل المؤلف إلى شيء من التفصيل : « فنذكر هاهنا القبائل ونوردها مفرّعة مشروحة على سبيل الاختصار أيضًا »[٢٦] ،

---

(٢٦) الكتاب ، ص١٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهنا أيضًا بدأ بقبائل قحطان فوقف أولاً عند بني جفنة الغسّانيّين – وقد ذكرت أن آل رسول ينسبون أنفسهم إليهم – فأثبت نسب جبلة بن الأيهم وما قيل فيه من الشعر ، ونقل عن ابن الجون في شرح الخمرطاشيّة(٢٧) نسب ملوك آل جفنة ومدة حكمهم ثم فصّل القول في نسب غسّان وقبائلها ، ووقف عند آل رسول فنفى أن يكون انتماؤهم إلى حِمير أو إلى اللخميين ، ورأى أن من فعل ذلك إنما جرى على سبيل من ينسب الرجل إلى بني عمه(٢٨) . ثم يعود إلى ذكر آل جفنة فيجعل منهم بني رسول ، يقول : « ومنهم ملوك اليمن بنو الرسول ، وأوّلهم الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ، ومنهم السلطان الأعظم المظفّر شمس الدنيا والدِين ، يوسف بن عمر ، أوحد ملوك الزمن . ومنهم ولده – أي المؤلف – ممهّد الدنيا والدين ، الملك الأشرف أبو الفتح عمر بن يوسف بن عمر ، أفضل ملوك اليمن ، وأفضل ملوك الدهر ، وأشرف أبناء العصر ، وكفاهم فخرًا أنّ أوّل الزمان لآبائهم وآخره لهم ... »(٢٩) .

نرى في الفقرة السابقة أن المؤلّف كان يعظّم شأن آبائه وأجداده ، وهو يبالغ في إطرائهم كلما ورد ذكرهم في كتابه ، فمن ذلك قوله مثلاً : فهؤلاء الذين قدّمنا ذكرهم من أولاد كهلان هم أقرب قبائل قحطان إلى نسب السلطان الملك المظفّر شمس الدنيا والدين يوسف بن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول »(٣٠) .

(٢٧) ابن الجون هو أبو الربيع سليمان بن موسى الأشعري نسبًا ، الزَبيدي بلدًا ، المتوفى سنة ٦٥٢هـ . فقيه حنفي من أهل اليمن . من كتبه : « الرياض الأدبية » وهو شرح للمقصورة التاريخية الخمرطاشية في تاريخ اليمن القديم من نظم أبي الحسن بن خمرطاش الزَبيدي المتوفى سنة ٥٥٤هـ (مخطوط بالمتحف البريطاني) .

(٢٨) الطرفة ، ص٢٦ .

(٢٩) نفسه ، ص٢٨ .

(٣٠) نفسه ، ص٣٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويبدو أن بعض النسّابين كانوا ينسبون آل رسول إلى الملوك اللخميين أو إلى التبابعة الحميريين أو إلى سواهما ، ومن هنا كان المؤلف يحرص على تأكيد نسبة آل رسول إلى آل جفنة ويجعل نسبتهم إلى قبائل قحطان الأخرى من قبيل نسبة الرجل إلى أعمامه ، لأن جميع هذه القبائل تنتمي إلى سبأ الأكبر ، وهو يحيل في بيان نسب أسرته إلى شرح ابن الجَون للخمرطاشية . وقد تكرر كلام المؤلف بهذا الشأن أكثر من مرة في كتابه وكأنما كانت غاية المؤلف من تأليف مختصره هذا بيان نسب أسرته لما وقع لدى النسّابين والشعراء من الغلط الكثير في نسبهم (٣١) .

ولمّا فرغ المؤلّف من نسب كهلان انتقل إلى حِمير ففصّل القول في نسبها ، فأورد أولاً أنساب التبابعة وذكر طائفة من أخبارهم ، وهي أخبار غير جديرة بالثقة في جملتها ، وهو يحيل في سياقة نسبها أحيانًا إلى كتاب « جواهر التيجان » (٣٢) كما ينقل عن كتاب لنشوان الحميري لا يسمّيه (٣٣) .

ثم أثبت المؤلف أنساب الأقيال ، والقَيل هو الذي يخلف الملك في مجلسه ، وأنساب الأذواء ، وهم ملوك اليمن الذين في صدور ألقابهم لفظ « ذو » ومنهم : ذو يَزن ، وذو نواس ، وذو رعين ، الخ ... ثم يعود المؤلف مرة أخرى إلى تفصيل أنساب حِمير . ويقف أخيرًا عند أنساب قضاعة ،

---

(٣١) الكتاب ، ص٤٢ .

(٣٢) هذا الكتاب لم يصل إلينا ولعله اختصار لكتاب « التيجان في ملوك حمير » : لعبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ) ، وهو من تأليف نشوان الحميري كما يستدل من عبارة وردت في الكتاب ص٤٨ .

(٣٣) نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ) ، قاض عالم باللغة والأدب والنحو والتاريخ معتزلي المذهب ، كان متعصبًا للقحطانية ، له كتاب « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم في اللغة » : طبع قسم منه ، كما طبعت منتخبات منه تتعلق بأخبار اليمن ، بعناية عظيم الدين أحمد ، ليدن ١٩١٦م . وله مؤلفات أخرى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهي عنده من حِمير .

وبعد انقضاء الأنساب القحطانية يذكر أنساب العدنانية ، بادئاً بنسب مضر « لكون النبي محمد ﷺ منهم »[٣٤] . فيسوق أولاً أنساب اليأس بن مضر ثم أنساب قيس عيلان بن مضر ، فأنساب ربيعة . وهنا نجد المؤلف يخالف جمهرة النسابين إذ يجعل ربيعة تنتمي إلى مضر . ويسوق نسبها على النحو الآتي : « هو ربيعة بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان »[٣٥] ، وهي عند جميع النسّابين : « ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان » ، والمعروف أن نزارًا يتفرّع إلى قبيلتين كبيرتين هما : ربيعة ومضر ، فنسبة ربيعة إلى مضر خطأ فاحش وقع فيه المؤلّف ، ولعله سهوٌ منه لأنه سبق أن ذكر أنّ قبائل معدّ هي : مضر وربيعة وأنمار وإياد[٣٦] .

وبعد تعداد قبائل ربيعة أورد نسب أنمار ، وهو عنده أنمار بن نزار ، على أن في نسب أنمار خلافًا بين النسّابين . ثم أورد نسب علكّ بن عدنان ، وفي نسبها أيضًا خلاف ، وجمهور النسّابين على أنها قحطانية . وفي حين نجده يفصّل القول في أنساب قحطان نراه شديد الإيجاز في ذكر الأنساب العدنانية . على أنه بعد هذا الإيجاز في الأنساب العدنانية يفصّل القول في نسب الرسول عليه السلام وفي نسب الخلفاء الراشدين والصحابة المشهورين ، وكذلك في نسب خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس حتى سقوط بغداد بيد المغول سنة ٦٥٦هـ ، وهو يذكر سنة تولّي كل منهم الخلافة وسنة وفاته .

وبعد فراغه من سياقة أنساب الخلفاء يعود مرة أخرى إلى أنساب أسرته

(٣٤) الكتاب ص٥٧ .

(٣٥) الكتاب ، ص٦٢ .

(٣٦) الكتاب ، ص١٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بني رسول ، فيفصل القول في كل من ملوكها ويذكر أولاده . على أن هذا القسم ليس من عمل المؤلف وإنما هو من عمل مؤلف آخر لم يذكر اسمه لأنه يذكر اسم الملك الأشرف وأسماء أولاده ثم يذكر من جاء بعده من ملوك آل رسول ، وآخرهم الملك الفائز والأمير شرف الدين محمد بن علي بن رسول ، وبعد ذلك نجد العبارة الآتية : « حاشية المصنف إلى هذا الذي ذُكر فقط . ثم قام بعد ذلك ملوك مشهورون من ذُرّيتهم »(٣٧) ، وهذا يؤكّد ما ذهبتُ إليه آنفًا من أن الكتاب ليس كله من تأليف الملك الأشرف عمر بن يوسف ، وإنما جاء بعده من أضاف إليه ، ولهذا نقع في الكتاب على شيء من التكرار في ذكر أنساب القبائل وأنساب بني رسول .

ويلي ذلك سرد لأنساب الأشراف باليمن والحجاز بني حمزة وبني القاسم وأولادهم ، ثم نسب الأمراء من بني وهّاس ، وهم بطن من العلويين كانوا بالحجاز واليمن ، ويذكر المصنّف من كان منهم في زمنه وهو محمد بن جعفر بن أبي هاشم(٣٨) . وليس بين أيدينا ما يعيننا في تعيين زمن هذا الأمير .

ويلي ذلك نسب الأمراء من بني صفيّ الدين ، فأنساب طائفة من الأئمة العلويين وأشراف اليمن ومنهم : العبّاسيون ، والقتادات ، وبنو سليمان ، والشهابيون ، والسبئيون وغيرهم .

وفي آخر الكتاب تعداد للقبائل المذحجية في عهد المصنّف ــ الملك الأشرف أو سواه ــ مع بيان عدد أفراد كل قبيلة .

وقيمة الكتاب ليست في عرض الأنساب العدنانية والقحطانية ، ففي

(٣٧) الكتاب ص٩٢ .

(٣٨) الكتاب ، ص١٠٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتب الأنساب الأخرى من التفضيل ما لا نجده في هذا الكتاب ، وإنما قيمته في بيان أنساب ملوك اليمن المتأخرين والأشراف والأمراء العلويين في اليمن والحجاز .

مصادره : استمدّ المؤلف مادة كتابه من مصادر شتى ذكرها في كتابه ، ومن هذه المصادر كتاب « شمس العلوم » لنشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ) ، وتاريخ ابن واضح أحمد بن إسحاق اليعقوبي (المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ) ، وكتاب « الإكليل » للحسن بن أحمد الهمداني المعروف بابن الحائك (ت ٣٣٤هـ) ، وكتاب « الكامل في التاريخ » لعز الدين ابن الأثير علي بن محمد (ت سنة ٦٣٠هـ) ، وكتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه (ت ٣٢٧هـ) ، وكتاب « جواهر التيجان » لنشوان الحميري ، وشرح ابن الجون الأشعري (ت ٦٥٢هـ) على المقصورة الحمرطاشية في تاريخ اليمن القديم ، وكتاب « صفة الصفوة » لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، وكتاب « الباب » للأشعري(٣٩) ، وكتاب

---

(٣٩) كذا ورد اسمه في « كشف الظنون » في أكثر من موضع ، ومن ذلك ما ورد في المجلد الثاني ص ١٥٤٠ :

« اللباب إلى معرفة الأنساب ، مختصر لأبي الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري ذكر فيه جملة مصنفات في هذا الفن ، ثم قال : « وقد استخرجت من هذه (أي المصنفات) كتاباً مختصراً سمّيته التعريف بالأنساب ، توسطت فيه بين الإكثار والإقلال ، ثم عملت « اللباب » ... وقد ذكرت فيه أمهات القبائل وبطونها وجعلته مدخلاً إلى علم النسب . » . وقد أثبت الأستاذ المنجد اسمه كما ورد في كشف الظنون وخطّأ ما وجده في المطبوعة (ص ٦٧) .

وهو عبارة : « قال الأشعري في كتابه المعروف بالباب » فأثبت في الحاشية عبارة : « كذا ، والصواب : اللباب ، » اعتماداً على ما وجده في كشف الظنون .

إلا أن الأستاذ المحقق حمد الجاسر خالف الأستاذ المنجد فيما ذهب إليه ورأى أن الصواب في اسم الكتاب هو « الباب » وأيّد كلامه بما جاء في مقدمة كتاب الباب (مطبوع بجدة) وهو : « هذا مختصر في علم النسب وقبائل العرب جعلته ذريعةً إلى الاختصار وسبباً في الاقتصار وسميته كتاب الباب إلى معرفة الأنساب ... » والصواب ما ذهب إليه الأستاذ الجاسر لأنه يوافق ما جاء =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« مقدمة الأنساب » للشريف الحسيني[٤٠] ، وكتاب « خلاصة السير » لمحب الدين الطبري أحمد بن عبد الملك (ت ٦٩٤هـ) وكتاب « بُلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء » .

طبع الكتاب في المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية الآن) بتحقيق المستشرق ستر ستين ، دمشق ١٩٤٩م وقدّم له الأستاذ صلاح الدين المنجّد .

وقد استدرك الأستاذ الجاسر على المؤلف طائفة من الأخطاء سواء في ضبط أسماء القبائل أو في نسبة بعض الأشخاص ، (انظر مقالته في مجلة المجمع العلمي المجلد ٢٦ ص٢٫٢٣) ومن ذلك أنه نسب أبا مسلم الخراساني إلى قبيلة خولان (ص٥٧ من الكتاب) والصحيح أنه عجمي خراساني ، أما المنسوب إلى خولان فهو أبو مسلم الخَولاني الفقيه الزاهد . وكذلك جعله ربيعة من أبناء مضر ، وقد أشرت إلى هذا الخطأ آنفًا ، ومنها أيضًا أنه نسب قس بن ساعدة إلى قبيلة أنمار (ص٦٣ من الكتاب) والصحيح أنه من قبيلة إياد العدنانية ، إلى غير ذلك من الأخطاء .

= في الأصل وما جاء في مقدمة كتاب « الباب » نفسه ، ويؤيد هذا عنوان الكتاب « الباب إلى معرفة الأنساب » يريد أنه جعله مدخلاً إلى معرفة الأنساب ولو كان اسمه « اللباب » لكان عنوانه : اللباب في معرفة الأنساب . ولايصح أن يدعى : اللباب إلى معرفة الأنساب ، وقد أخطأ صاحب كشف الظنون في تسميته باللباب . (انظر مقالة الأستاذ حمد الجاسر في مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٢٦ ص ٢٢٣) .

ولم يذكر حاجي خليفة سنة وفاة الأشعري في هذا الموضع ، ولكنه حين تحدث عن كتابه الآخر وهو « التعريف بالأنساب » ذكر أن وفاته كانت في حدود سنة ٥٥٠ للهجرة .

(٤٠) لعله الشريف أبو البركات الجَوّاني الحسيني أسعد بن علي الذي استمدّ منه النويري في نهاية الأرب ، كما سيأتي ، ومقدمته تعرف بمقدمة الشريف الجوّاني وهي مخطوطة بدار الكتب المصرية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتاب
نهاية الأرب في فنون الأدب
لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري(*) ٦٨٢ ـ ٧٣٣هـ

المؤلف

هو شهاب الدين ابو العبّاس أحمد بن عبد الوهاب ، تُرجع أسرته نسبها إلى أبي بكر الصدّيق ، ومن هنا قيل له البَكري ، أما لقبه النُويري الذي اشتهر به فهو نسبة إلى النُويرة ، وهي قرية مصرية تابعة لمديرية بني سُويف بالصعيد ، وكانت أسرته تقيم بها ، ولكنّ مولده كان – فيما يذكر الأدفوي(٤١) – بمدينة قُوص ، من مدن صعيد مصر ، وكان مَولده سنة اثنتين وثمانين وستمئة للهجرة(٤٢) ، وبها كانت نشأته . وليس لدينا الكثير حول نشأته وحياته في تلك المدينة ، وجُلّ ما عرفناه عنه أنه أخذ الحديث والفقه عن طائفة من الشيوخ منهم الشريف موسى الذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب ، ويعقوب بن أحمد بن الصابوني ، وأحمد الحجّار ، وزينب بنت يحيى ، وقاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جماعة .

اتّصل النويري بالسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٨٤–٧٤١هـ) وأصبحت له حظوة عنده ، ويذكر الأدفوي أن الناصر وكله في بعض أموره وأنه تقلب في الخدم الديوانية وباشر نظر الجيش بطرابلس وتولى نظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية .

(*) من مصادر ترجمته : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد للأدفوي ؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢٩٩/٩ ؛ البداية والنهاية لابن كثير ١٦٤/١٤ ؛ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي ، الجزء الأول ؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر .

(٤١) الطالع السعيد ص٩٦ .

(٤٢) هذا ما جاء في المنهل الصافي لابن تغري بردي ٣٦١/١ ، وفي الأعلام للزركلي أنه ولد سنة ٦٧٧هـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان إلى جانب عمله في الديوان يقوم بنسخ الكتب بخطه ثم يبيعها ، ويذكرون أنه نسخ صحيح البخاري ثماني مرّات ، وكان يقابل كل نسخة بالأصل ثم يجلّدها ويبيع النسخة بألف درهم ، وكان له طاقة عجيبة على النسخ والتأليف ، ذكروا أنه كان يكتب في اليوم ثلاث كراريس .

أثنى المؤرخون على علم النويري وذكروا أنه كانت له مشاركة في علوم كثيرة ، وكان يجيد الخطّ ويكتب الخط المنسوب ، وله نظم يسير ، ونثر حسن ، وكان إلى ذلك ظريفًا متودّدًا حسن المعاشرة ، ويصفه ابن كثير بأنه « بالجملة كان نادرًا في وقته »[٤٣] .

اشتهر النويري بكتابه « نهاية الأرب » على أن بعض المؤرخين ذكروا أن له كتابًا آخر في التاريخ في ثلاثين مجلدة[٤٣] . وأرى أن الأمر اختلط عليهم فكتابه في التاريخ هو كتاب « نهاية الأرب » عينه ، والقسم التاريخي يحتل منه جانبًا كبيرًا ، ويؤيد ما ذهبت إليه ما ذكره ابن تغري بردي فهو يقول : « وألف تاريخًا سمّاه نهاية الأرب في علم الأدب ، في ثلاثين مجلدًا[٤٤] » . وذكر نحو ذلك في كتابه النجوم الزاهرة[٤٥] ، فليس للنويري كتاب مستقل في التاريخ ، وكان ينسخ كتابه هذا ويبيعه بألفي درهم .

يذكر معاصره الأُدفُوي أن وفاته كانت بسبب وجع حصل له في أطراف أصابع يديه ، ومات وله خمسون سنة أو تزيد قليلاً ، واختلف المؤرخون في تعيين سنة وفاته بين سنتي ٧٣٢هـ و٧٣٣هـ .

الكتاب

الكتاب موسوعة أدبية وعلمية وتاريخية ضخمة تجمع فنونًا شتى من المعرفة ، وعنوان الكتاب المطبوع : « نهاية الأرب في فنون الأدب » ، وهو

(٤٣) البداية والنهاية ١٦٤/١٤ .

(٤٤) المنهل الصافي ٣٦١/١ .

(٤٥) النجوم الزاهرة ٢٩٩/٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عند ابن تغري بردي في المنهل الصافي : « نهاية الأرب في علم الأدب »(٤٦) ، ولكنه في كتابه الآخر النجوم الزاهرة يجعل اسمه : « منتهى الأرب في علم الأدب » ، كما يذكر أن كتابه هذا يعرف باسم « تاريخ النويري »(٤٧) .

ولست هنا بصدد دراسة الكتاب وإنما يعنيني منه القسم الخاص بالأنساب ، وقد قسّم النويري كتابه إلى فنون ، والفنون إلى أقسام ، والأقسام إلى أبواب ، وبحث النسب يشغل الباب الرابع من القسمُ الأول من الفن الثاني الذي تناول فيه الإنسان وما يتعلّق به ، ويقع هذا الباب في الجزء الثاني من الكتاب ، وهو في ثلاث وثمانين صفحة .

بحث النويري في الأنساب موجز ليس فيه إضافة إلى ما في كتب الأنساب السابقة ، ولا يدلّ على تعمّق في أنساب العرب ، وإنما أتى به هنا استيفاءً للمباحث المتصلة بالإنسان . ويبدو أن جُلّ اعتماده فيه كان على المقدّمة التي وضعها الشريف أبو البركات الجَوّاني ، يقول في مستهلّ حديثه عن الأنساب : « وقفت على المقدّمة التي وضعها الشريف أبو البركات الجَوّاني(٤٨) ، فرفعت له عَلمًا ، ونصبت له إلى المعالي سُلّمًا ، لأنه أتقن أصولها ، وحرّر فصولها ، وأورد فيه من الأنساب ما ينتفع به اللبيب ، ويستغني بوجوده الكاتب الأريب .. »(٤٩) .

(٤٦) المنهل الصافي ٣٦١/١ .

(٤٧) النجوم الزاهرة ٢٩٩/٩ .

(٤٨) الشريف أبو البركات الجَوّاني هو أسعد بن علي الحسيني الجَوّاني نسبة إلى (الجَوّانيّة) وهي من قرى المدينة المنورة ، وكان يقيم بمصر . وقد ترجم له القفطي في الإنباه (٢٣٠/١) وذكر أنه موصلي الأصل ، ولم يعين سنة وفاته ولكنه ذكر أنه أدرك أيام الصالح بن رُزّيك المتوفى سنة ٥٥٦هـ . على أنه لم يكن معروفًا باشتغاله بالأنساب وإنما عرف بذلك ولده محمد بن أسعد بن علي الشريف الجوّاني وكنيته أبو علي ، وله كتاب في النسب اسمه « تاج الأنساب ومنهاج الصواب » . (انظر : الوافي في الوفيات ٢٠٢/٢ ولسان الميزان لابن حجر ٧٤/٥) .

(٤٩) نهاية الأرب ٢٦١/٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم يقول بعد قليل : « وعلى الشريف العمدة فيما أوردته ، والعهدة فيما نقلته ، فمن تأليفه نقلت ، وعلى مقالته اعتمدت »[٥٠] . على أن في الكتاب ذكرًا لعلماء آخرين في النسب ومنهم ابن الكلبي والوزير المغربي ، مؤلف كتاب الإيناس .

بدأ النويري حديثه عن أنساب العرب ببيان عناية العرب بأنسابها وافتخارها بمعرفتها . ثم قسّم العرب إلى عشر طبقات : الجِذم ، فالجمهور ، فالشَعب ، فالقبيلة ، فالعمارة ، فالبطن ، فالفخذ ، فالعشيرة ، فالفصيلة ، فالرهط ، وعرّف كلاً منها . وهذا التقسيم ليس من ابتكار النويري فقد سبقه إليه علماء النسب قبله ، وإن كان بين علماء النسب خلاف في ترتيب الجماعات القبلية. والعرب عنده – وعند جمهور علماء النسب – يرجعون جميعًا إلى جذمي قحطان وعدنان . ولكن النويري لم يتحدث عن الأنساب القحطانية والعدنانية مباشرة وإنما بدأ بذكر الأنساب منذ زمن آدم ، وجعل آدم الجدّ الخمسين للرسول عليه السلام ، مع أنه ذكر قبل ذلك أنه « قُطع الخوض فيما فوق قحطان ومعدّ وعدنان ، واقْتُصر على ذكر ما دونهما لاجتماعهم على صحته ، ومنه قول سيدنا رسول الله ﷺ لما انتسب إلى معدّ بن عدنان : « كذب النسّابون فيما فوق ذلك »[٥١] ، فقد أباح النويري لنفسه هنا أن يتقصى أنساب العرب منذ عهد آدم ، وقد جعل عمود النسب المحمّدي من آدم في ابنه شيث وأمّه حوّاء[٥٢] . ثم أخذ يسلسل أبناء آدم من شيث ويذكر العقب من كل منهم ، ويرد في سياقة هذه الأنساب ذكر ابن الكلبي وصاحب الشجرة[٥٣] ، حتى يصل إلى سام بن نوح

(٥٠) الكتاب ٢/٢٦٢ .

(٥١) الكتاب ٢/٢٦٢ .

(٥٢) نفسه ٢/٢٧٠ .

(٥٣) لم يصرح النويري باسم مؤلف هذا الكتاب ولعله محمد بن رضوان المتوفى سنة ٦٥٧هـ فقد ذكر صاحب كشف الظنون (٢/١٠٢٧) أن له كتابًا اسمه « الشجرة في الأنساب » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيجعله الجدّ الأربعين للرسول عليه السلام ، وهو هنا يعتمد على روايات النسّابين القدامى ، وأكثرها لا يصحّ .

وبعد أن فرغ من الأنساب القديمة انتقل إلى قحطان وعدنان ، وقسّم العرب إلى أقسامها الثلاثة : عاربة ، ومتعرّبة ، ومستعربة . فالعاربة هي البائدة ، والمتعرّبة هم بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة وسكنوا ديارهم ، والمستعربة هم بنو إسماعيل بن إبراهيم ، وهم العدنانية . وهذا التقسيم هو الذي جرى عليه جلّ النسّابين .

ثم بدأ بذكر أنساب قحطان على وجه الاختصار ، ومعتمده على الشريف الجوّاني . وقف أولاً عند قبيلة حمير وما تفرّع عنها ، وهو ينقل عن الجوّاني ترجيحه انتساب حضرموت إلى حمير ، وهو قول شيوخه في النسب .

وهو يذهب مذهب بعض النسّابين في جعل قبيلة صنهاجة البربرية من نسل الهميسع بن حمير ، كما يجعل قضاعة من ولد مالك بن حمير ، خلافًا لمن جعلها معدّية عدنانية .

وحين فرغ من حمير انتقل إلى كهلان فعدّد قبائلها وبطونها وأفخاذها المشهورة ، على وجه الإيجاز . وكان أحيانًا يذكر أسماء بعض الرجال المعروفين في كل بطن ، ولكنه لا يفصّل القول في ذكر الأعلام ، على نقيض ما فعله ابن حزم .

وقد أنهى حديثه عن أنساب اليمن بقول الجوّاني : « وهذه النهاية في اختصار أنساب اليمن ، وقد احتوت على الغاية في حسن إيصال البطون وتبيينها في الترتيب[٥٤] .

وبعد فراغه من أنساب قحطان انتقل إلى عمود النسب النبوي في

(٥٤) الكتاب ، ص٣٠٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

عدنان بدءًا من فالغ بن عابر بن شالخ حتى وصل إلى إبراهيم الخليل ، وهو عنده الجد الحادي والثلاثون للرسول عليه السلام ، فذكر عقِبه وأبناءه حتى انتهى إلى إسماعيل ؛ وهو يقرّر أن سياقة النسب بين آدم وإسماعيل ، على ما أورده ، صحيحة لا خلاف فيها بين النسّابين ، وذلك نقلاً عن التوراة . والخلاف إنما وقع عندهم فيما بين إسماعيل وعدنان ، ويعلّل هذا الاختلاف بأُمِّيَّة العرب واعتمادهم في معرفة انسابهم على الحفظ والرواية الشفهية . ومن بين الروايات المتعددة يختار الجوّاني رواية كان يعتمدها شيخ الشرف محمد بن أبي جعفر الحسيني العبدلي النسّابة ، وهي منسوبة إلى عبد الله بن عباس ، وهي – عنده – عمدة أكثر النسّابين . وممّن اختارها أبو بكر محمد بن عبده الفقعسي النسّابة الطرسوسي ، وهو يوثّق هذه الرواية على رغم ما أورده من حديث الرسول عليه السلام الآنف الذكر في تكذيب النسّابين حين يعرضون لذكر أنساب من كانوا قبل عدنان .

وحين يصل إلى عدنان يذكر تفرّعها إلى مضر وربيعة وأنمار وإياد ، ثم يذكر قبائل كل منها وبطونها باختصار شديد ، وأنمار عنده التحقت بأنساب اليمن . وقد فصّل بعض التفصيل في الأنساب المضرية بفرعيها : خندف وقيس عيلان ، وحين وصل إلى قريش عدّد بطونها وأفخاذها حتى بلغ الرسول عليه السلام فذكر نسبه كاملاً حتى بلغ به آدم ، وبذلك ينتهي حديثه عن أنساب العرب .

طبع الكتاب بدار الكتب المصرية ، عام ١٩٢٣م وما بعدها ، وقد طبع منه حتى الآن ثمانية عشر جزءًا .

* * *

مصادر البحث :

– الأُدفوي جعفر بن تغلب : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد . تح . سعد محمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

– ابن بشكوال : الصلة . تح . عزة العطار ، القاهرة ١٩٥٥م .

– ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي . الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٦م .

– ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٩م ، القاهرة .

– حاجي خليفة مصطفى الجلبي بن عبد الله : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون طبعة بالأوفست عن طبعة استامبول ، إيران ١٣٨٦هـ .

– ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . حيدر آباد ١٣٤٨هـ .

– حمد الجاسر : مقالة حول كتاب « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٢٦ ص٢٢٣ نيسان ١٩٥١م .

– الخزرجي ، علي بن الحسن : العقود اللؤلئية في تاريخ الدولة الرسولية تح . محمد بن علي الأكوع بيروت ١٩٨٣ .

– ابن خلكان : وفيات الأعيان . تح . إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٠م .

– ابن رسول ، عمر بن يوسف : طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب . تح . سترستين . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٤٩م .

– ابن سعيد الأندلسي : المغرب في حلى المغرب . تح . شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٣م .

– السيوطي جلال الدين : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . تح . محمد أبو الفضل إبراهيم جزءان القاهرة ١٩٦٤م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

– ابن عبد البر : القصد والأمم ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٥٠هـ ، ومعه كتاب الإنباه على قبائل الرواة .

– ابن عميرة الضبي ، أحمد بن يحيى : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، طبعة مصورة عن طبعة مدريد سنة ١٨٨٤م بعناية المستشرقين كوديرا وريبيرا ، مكتبة المثنى ببغداد .

– ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب . القاهرة ١٩٥١م .

– ابن كثير : البداية والنهاية . مطبعة السعادة ، القاهرة .

– نشوان بن سعيد الحميري : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . أشرف على طبعه القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليمني ، القاهرة وبيروت .

– النُويري ، شهاب الدين : نهاية الأرب في فنون الأدب . طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٣م ، وما بعدها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net